هل يؤدّي اتفاق «فتح» و«حماس» إلى فك الحصار عن غزة؟

■ حميدي العبدالله

في مقابلة أجرتها قناة «الميادين» مع عضو قيادة حركة فتح وممثل السلطة الفلسطينية في مفاوضات وقف العدوان على غزة، عزام الأحمد قال صراحة وبعبارات واضحة إن لا رفع للحصار، ولا إعمار لما هدمه العدوان إذا لم تتمكن حكومة الوفاق الفلسطينية من فرض سيطرتها على الوضع في غزة.

بعبارة أخرى لن يكون هناك رفع للحصار وإعادة الإعمار إذا ظلت حكومة حماس هي حكومة الأمر الواقع، في حين أنّ حكومة الوفاق مجرّد واجهة أو تقتصر صلاحياتها على إدارة السلطة في الضفة الغربية.

هنا يمكن لحظ حقيقتين:

الحقيقة الأولى، أنّ حركة فتح، وكذلك منظمة التحرير، توافق على هذه المقولة، فرفع الحصار وإعادة البناء وسيلتها الوحيدة للعودة إلى قطاع غزة وكسر احتكار السلطة في القطاع من قبل حركة حماس، فمن الصعب على فتح وعلى السلطة الفلسطينية العودة إلى القطاع بالقوة العسكرية، حتى لو كانت هذه القوة الدبابات والطائرات «الإسرائيلية». وهذا يعني أنّ فتح وكذلك السلطة لن تتخلّى عن هذه الشروط حتى لو كانت هي شروط العدو الصهيوني والولايات المتحدة، لأنّ مصالح رام الله للأسف في هذا الجانب تتقاطع مع مواقف تل أبيب وواشنطن.

الحقيقة الثانية، حماس التي تخلّت عن السلطة شكلياً في قطاع غزة من الصعب عليها أن تتخلّى عنها فعلياً، وذلك في ظلّ حسابات تتقاطع فيها الرؤية السياسية مع المصالح الفئوية. فحماس تخشى إن عادت السلطة وفتح إلى استعادة مكانتهما في غزة أن يتكرّر سيناريو الضفة الغربية لجهة نزع السلاح من الفصائل الفلسطينية، لا سيما أنّ هناك مطالب صهيونية وأميركية واضحة بأن تكون في غزة سلطة واحدة وسلاح واحد، وفي هذه الحال فإنّ الاستيلاء على سلاح الفصائل، بما في ذلك سلاح حماس، يعني بالنسبة لها أمرين أكيدين، الأمر الأول، أنه لم يعد هناك مقاومة حتى نظرياً وأيّ حديث عن المقاومة بعد نزع سلاح فصائلها هو حديث لا معنى له، وهو يشبه الحديث عن المقاومة في الضفة الغربية، حيث يتصرّف الاحتلال على هواه من دون أيّ رادع. الأمر الثاني، أنّ حماس سوف تفقد الوسائل التي مكّنتها من الحصول على موقعها المميّز في قطاع غزة وعلى مستوى الساحة الفلسطينية، وبديهي أنّ ذلك يساوي الانتحار الذاتي، وهو أمر يصعب توقّع أن توافق عليه حماس لا الآن ولا في المستقبل القريب.

لكن حماس تواجه معضلة حقيقية، فهي بالأساس وافقت على حكومة الوفاق، على الرغم من أنّ وجودها هزيل في هذه الحكومة لأنها غير قادرة على النهوض بأعباء وإدارة شؤون القطاع، وهي عجزت عن دفع رواتب موظفي الأجهزة لفترة تزيد عن أربعة أشهر. والآن يضاف إلى أعباء إدارة شؤون القطاع الحياتية، النهوض بأعباء إعادة الإعمار وفك الحصار.

جاء الاتفاق الأخير ليؤكد أنّ حماس ليس لديها الكثير من الخيارات، وهي وافقت على تمكين حكومة الوفاق من ممارسة صلاحياتها، ولكن هذا حتى الآن من حيث المبدأ، فهل تسهّل فعلاً تنفيذ الاتفاق الجديد، أم أنه ينضمّ إلى أشقائه من الاتفاقات غير المطبّقة منذ حوالي عشر سنوات؟ سؤال وحدها الأيام المقبلة تملك الجواب عليه.

مفاعيل جانبية للحرب على «داعش»

عندما قرّر الأميركيون بدء الحرب على «داعش» اعتبروا انّ رفض التنسيق مع الدولة السورية والإعلان عن البقاء على الموقف العدائي لها ولجيشها والقبول باللغة المشككة بشرعيتها وفقاً للسقف السعودي المرسوم سيكون كافياً لمنع ترصيد خسائر «داعش» في حساب الدولة وجيشها، وبالتالي يكفي إعداد مجموعات معارضة تابعة للحلف الذي تقوده واشنطن سيتولّى تركيب قوة ثالثة تمسك الجغرافيا التي تتضعضع فيها قوات «داعش» بفعل الغارات الجوية المؤذية والتدميرية، بالتزامن مع نقص التمويل وجفاف مصادر السلاح بفعل الحصار.

التكوين الهشّ للمعارضة الثالثة معلوم لدى الأميركيين ولذلك لم يكونوا يوماً جدّيين بالرهان على كيفية ملء الفراغ العسكري البري من جراء ضعف حالة «داعش» بل كانوا يراهنون على انّ مواصلة الرمي بالنار سيكون رادعاً لعدم تقدم «داعش» لكنه أيضاً سيمنع دخول الجيش السوري بداعي أنه لا يزال هناك «داعش» وقوات «داعش» تسيطر على المكان ليقينهم انّ تسليم من يدرّبونه سيعني ان تؤول المناطق الى أحد اثنين: الجيش السوري او «داعش»، ولأنّ «داعش» وقوات «داعش» في حال ضعف سيكون الجيش هو المستفيد الحصري.

ما لم يحسبه الأميركيون جيداً وهم يقصفون مواقع وتجهيزات ومقرات وأسلحة ومستودعات «داعش» والنصرة أنّ أكثر من نصف الحرب هي المعنويات، وأنّ التدخل «الإسرائيلي» بالنار مثلاً ضدّ مواقع الجيش السوري والمقاومة لو لم يكن لتغطية تقدم منسّقة لمجموعات المعارضة قبل سنة ومثلها قبل سنتين لكان تأثير الغارات الإسرائيلية بضيق الحال والشعور بالضعف في بنية الجيش والمقاومة كان هو الرهان لتقطف المجموعات المسلحة ثمار ذلك ضعفاً في القتال بوجه المعارضة وتتمكن من تحقيق التقدم والتفوّق.

الذي يجري مع الغارات على «داعش» و«النصرة»، والتي لم تعد مجرّد رمي بالنار بل تفيد التقارير أنّ بعضها رتب أذى حقيقياً على البنى العسكرية للفريقين مما جعل تشكيلات القتال التابعة لهما شمال سورية، كما لسائر المعارضة، في حال تسمح للجيش السوري بشن هجوم مكثف وسريع يسيطر خلاله على ما شاء من المناطق، لكن التحسّب الأميركي لذلك كان بالإصرار على مواصلة الغارات بذريعة أنّ «داعش» و«النصرة» والمفردات الشبيهة لا زالوا يسيطرون على تلك المناطق وبالتالي مواصلة قصف المقصوف.

ما لا يملك الأميركيون فعله هو منع تأثيرات هذه الحالة المعنوية في مناطق لا يطالها القصف الأميركي، وخصوصاً في أرياف دمشق وحمص وحماة، حيث يخوض الجيش السوري معارك هي الأشرس منذ بدء الحرب على سورية هناك.

الذي جرى في مدينة عدرا العمالية وبعدها عدرا البلد وبعدهما ما يتوقع أن يجري في دوما المعقل الأبرز للجبهة الإسلامية التي يقودها زهران علوش، وحيث «القاعدة» بتشكيلاتها المتعددة تملك قوتها المركزية ومستودعاتها وغرف عملياتها لريف دمشق، هو من نتاج الحرب بطريقة غير مباشرة، والأساس في ما جرى هو تجمع شرطين، الأول امتلاك الجيش السوري خطة عمليات مدروسة وعالية الدقة من جهة والانهيار المعنوي للجماعات المسلحة من جهة أخرى تحت تأثير الشعور بأنّ ساعة النهاية قد دنت، فقادتهم يُقتلون ومستودعاتهم تدمّر وسلاحهم النوعي يحترق ومالهم ينضب.

يقدر الأميركيون ما شاؤوا أن يمنحوا وأن يحجبوا الألقاب بصدد حلفهم للحرب على «داعش» ومن في الحلف ومن خارجه ومن لا يريدون ولو أراد، لكنهم لا يقدرون ان يمنعوا بروز الدولة السورية كشريك كامل في قطف نتائج الحرب ولو من وراء ظهر الأميركيين وخلافاً لحساباتهم وتوقّعاتهم.

«توب نيوز»

مقايضة الأضحى

– التطويق المشترك لمسلحي عرسال من الجيشين السوري واللبناني تمهيداً للهجوم الشامل ينتظر الضوء الأخضر من الحكومة اللبنانية.

– حاول رئيس الحكومة تمام سلام الحصول على القبول الضمني الأميركي والسعودي بهذا التعاون فلاقى الرفض.

– لبنان يتوقّع ما لم يتمّ الهجوم هجوماً معاكساً يستهدف بلدة عرسال ومعها اللبوة ورأس بعلبك وسواهما، وتفجيرات في الشمال والجنوب والعاصمة.

– حماية لبنان تشترط الهجوم الشامل، والهجوم يشترط تعاوناً جاهزاً بين الجيشين اللبناني والسوري.

– هل الموقف الأميركي الرافض للبنان أن ينسّق بعدما قام هو بالتنسيق مع الجيش السوري مفهوم؟

– التفسير المنطقي انّ واشنطن تراعي الفيتو السعودي للتعاون مع سورية.

– كيف ترتضي السعودية تعاوناً أو تنسيقاً اميركياً سورياً وتمنع على لبنان مثله وهو مهدّد بالخطر ولها فيه مصالح وجماعات تابعة؟

– هل يكفي الكيد والحقد للتفسير؟

– الجواب عند خبير ديبلوماسي أنّ صفقة تمّت بين داعش والسعودية مضمونها لا تهاجموا السعودية ونمنع عنكم الهجوم في لبنان،

– السعودية تشتري أمان الأضحى ولبنان يدفع الفاتورة.

– مفاجآت لا يضبطها السعودي وجماعته آتية.

التعليق السياسي

داعش: جماعة وظيفية من اغتيال الإسلام... إلى اغتيال الأوطان! 1

دراسة من إعداد د. رفعت سيد أحمد

يتناول الباحث والمفكر المصري المعروف د. رفعت سيد أحمد في كتابه هذا وبالوثائق والمعلومات الجديدة تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام» (المعروف إعلامياً بـ«داعش») قبل وبعد الحرب التي يخوضها مع التحالف الدولي بقيادة أميركا، ويقدم الكتاب عبر ثمانية فصول ومئات الوثائق والصور النادرة، جذور النشأة للتنظيم في العراق على عهد أبو مصعب الزرقاوي (2004) وصولاً إلى أبي بكر البغدادي القائد الحالي للتنظيم (2014) والذي قدم نفسه باعتباره خليفة المسلمين مطالباً إياهم بالبيعة. يكشف الكتاب عبر دراسة معمّقة، مستندة إلى المعلومات الدقيقة دور واشنطن في صناعة هذا التنظيم من أجل تفكيك كلّ من العراق وسورية باسم الثورة (الزائفة)، وسرعان ما ينقلب السحر على الساحر، يذبح التنظيم عشرات الأجانب (بمن فيهم صحافيون أميركيون وبريطانيون) ومئات المسلمين والمسيحيين والأقليات، مستنداً إلى فتاوى دينية شاذة، ومرفوضة (أورد الكتاب نماذج له).

يقدم الكتاب، الأسرار الكاملة عن قادة التنظيم ومذابحه وصراعاته مع التنظيمات الأخرى من «القاعدة» إلى «النصرة» إلى «الجيش الحر»، كاشفاً النقاب عن كون تلك التنظيمات والدول وأجهزة الاستخبارات التي صنعتها، كانت تستهدف بالأساس خدمة المشروع الأميركي – الصهيوني، لإشغال جيوش المنطقة وإنهاك قواها، وتفتيت وحدتها بعيداً عن العدو الاستراتيجي للأمة؛ «إسرائيل».

● في الكتاب، معلومات، وأسرار، ووثائق، لا غنى عنها لمن يريد أن يعرف من أين وإلى أين يذهب «داعش».

● إنها (القصة الكاملة) لأخطر تنظيم ديني في عالمنا العربي، تنظيم لاغتيال (الإسلام)... بعد أن تمّ له ولصانعيه اغتيال (الأوطان) باسم «الربيع العربي»!. ونقدم هنا على حلقات بعضاً من محتويات الكتاب الذي ستنشره خلال أيام دار الكتاب العربي.

لا شك في أنّ تنظيم ما يُسمّى بـ«الدولة الإسلامية في العراق والشام» المعروف اختصاراً باسم «داعش»، قد حظي قبل وبعد ضربه أميركياً (أو لنقل تحجيم دوره وليس القضاء عليه) باهتمام دولي كبير وصار ملء السمع والبصر، فلا حديث في الإعلام الغربي، والعربي، مقروءاً أو مسموعاً أو مرئياً، إلا أنّ «داعش»، ذلك التنظيم الذي صنعته واشنطن على عينيها، ثم عندما تجاوز حدود دوره ووظيفته، بدأت في ضربه. لقد كان الهدف من إنشائه هو ونظائره من التنظيمات الإرهابية (النصرة – أحرار الشام – القاعدة في بلاد الرافدين) هو تفكيك كلّ من العراق وسورية، وعندما عجزوا هم وصنّاعهم عن ذلك تحديداً في سورية، التي بدأت تتعافى من جراء المؤامرة الإقليمية الدولية عليها والمستمرة منذ ثلاث سنوات (منذ 2011)، وعندما بدأ «داعش» يهدد مصالح واشنطن وشركائها الإقليميين، هنا فقط اتخذ قرار التحجيم وقصّ الأظافر وبدأ ضرب «داعش» وحصاره، وإعادته إلى دوره كجماعة وظيفية تعمل في (وظيفة محدّدة) داخل استراتيجية التقسيم الاستعماري الجديد للمنطقة، ولكن دعونا نتأمّل أقدم بيانات «داعش» عندما أعلنت الخلافة (في حزيران 2014)، وأحدث بياناتها عندما بدأ الضرب الأميركي لها، لنعرف عمّن نتحدث، ونسجل ملاحظاتنا الرئيسية.

● لقد طرح التنظيم في بيانه الأول السؤال الآتي: «هناك من يقول: من أنتم؟ الجواب: نحن جنود الدولة الإسلامية، أخذنا على عاتقنا إرجاع أمجاد الخلافة الإسلامية ودفع الظلم والحيف عن أهلنا وإخواننا المسلمين... نعامل الناس بما ظهر لنا منهم، ونكل سرائرهم إلى الله، فمن أظهر لنا شعائر الإسلام، ولم يتلبّس بناقض من نواقضه عاملناه معاملة المسلمين، ولا نأخذ أحداً بالظن والتهمة، بل بالبيّنة القاطعة والحجة الساطعة، والمقدّم عندنا إحسان الظنّ في المسلم، ما لم يكن عدواً للمسلمين وعوناً للمجرمين». وأضاف التنظيم: «الناس في ظلّ حكمنا آمنون مطمئنون، فوالله لا رغد للعيش إلا في ظلّ حكم إسلامي يضمن للرعية حقوقهم وينصف المظلوم ممن هضم حقه، ومن كان علينا بالأمس ناقماً فهو اليوم رعية آمن إلا من صدّ وندّ وارتدّ... الأموال التي كانت تحت قبضة الحكومة الصفوية (المال العام) ترجع جميعها لبيت مال المسلمين، وأمرها عائد إلى خليفة المسلمين، وهو الذي يتولى تصريفها في مصالح المسلمين، وليس لأحد أن يمد إليها يده بنهب أو سلب أو حول ذلك، وإلا عرض نفسه للمثول أمام القضاء الشرعي والمساءلة ثم إنزال العقوبة الرادعة به، وكذلك الملك الخاص من مال وأثاث ومتاع، من سرق منها نصاباً من حرز لا شبهة له فيها، كان عليه القطع... ونتعامل مع عصابات السطو المسلح على أنهم مفسدون في الأرض ونوقع عليهم وعلى من يروع المسلمين بالتهديد والابتزاز وأخذ المكوس والإتاوات وأخذ المال من الناس قسراً بغير حق، أنكى العقوبات الرادعة».

● إن هذا الإعلان عن بدء عصر الخلافة الجديدة، والخليفة الجديد (أبو بكر البغدادي)، بقدر ما أثار من سخرية لأوهام وتناقضات عادة بين القول والسلوك تضمنها البيان بقدر، أثار علامات استفهام حول قوة هذا التنظيم، وجرأته وكيف تصل به إلى حد مجابهة من صنعوه، ليهددهم هكذا، إن الأمر لا يكتمل، دونما تأمل أحدث وآخر بياناتهم المنشورة، وهو يُضرب من الطائرات الأميركية والغربية ومن تحالف دولي تجاوز الـ40 دولة، إن البيان يكشف من خلاله التنظيم عن خطته للحرب على الولايات المتحدة الأميركية، معلناً عن عدة أهداف يخطط لضربها خلال الفترة المقبلة، على رأسها البيت الأبيض في واشنطن، وأكد استهدافه لجنود الجيش الأميركي، والشرطة، والعاملين في مكتب التحقيقات الفيدرالية FBI، والأمن القومي، ووكالة الاستخبارات المركزية، وأعضاء النيابة والقضاء، خصوصاً الذين حققوا في قضايا متعلقة بعناصر جهادية، وانتهت إلى إدانتهم، والسفراء، وموظفي وزارة الخارجية، وأعضاء مجلسي النواب والشيوخ، لا سيما الذين أقروا توجيه ضربة عسكرية للتنظيم، والعاملين في منظمات التبشير، وشركات تصنيع الذخائر والأسلحة بمختلف أنواعها، وإدارة تحصيل الضرائب والهجرة، والمسؤولين في البنوك وشركات الاستثمار، والإعلاميين الذين ثبت عدم حيادهم (كل هؤلاء دفعة واحدة سوف يواجههم التنظيم... ولا ندري من أين له الإمكانات والقدرات لتلك المواجهة الواسعة!!).

***

وطالب التنظيم، في الخطة التي نشرتها مواقع قريبة منه، أعضاءه ومؤيديه المقيمين في أميركا بامتلاك أسلحة نارية شخصية اعتماداً على الحق الذي يكفله الدستور للمواطن الأميركي بامتلاك السلاح، داعياً مَن يواجه أزمة في شراء السلاح إلى أن يلجأ إلى طرق غير تقليدية، سواء معارض السلاح، أو السوق السوداء، أو قتل أحد المواطنين الأميركيين باستخدام سلاح أبيض وغنم ما يمتلكه من سلاح، وطالبهم باستخدام «كواتم الصوت» من خلال الشراء أو الإطلاع على طريقة تصنيعها على شبكة الإنترنت.

● ونصح «داعش» عناصره بالتركيز على الأهداف البشرية، لأن الأهداف المادية يمكن تعويضها واستردادها بالمال، أما الأهداف البشرية فـ«هي التي تقض مضاجعهم»، على حد قوله، واستعرض التأصيل الفقهي لضرب ما وصفها بـ«الأهداف الشرعية» في الولايات المتحدة الأميركية، قائلاً إن أميركا في حالة حرب مع الإسلام والمسلمين، وأهل الكفر والنفاق يحاولون تمرير خطاب جاهل يتضمن التحذير من قتل الأبرياء، مشيراً إلى أن التنظيم يتعامل وفق تصنيف واحد للناس، إما مؤمنون وإما كفار.

(هذا الفهم السطحي للإسلام هو السبب الرئيسي في اغتيال الإسلام وتشويهه لأنه قسم الدنيا إلى فسطاطين من دون أدنى محاولة للتحليل وللمقارنة الموضوعية لكل معسكر أو فسطاط من الفسطاطين – على حد القول الشهير لبن لادن).

● وتابع البيان: «ربما يقول قائل، وقد قيل فعلاً، إن الكفار الأميركان أو غيرهم، سواء الموجودون في بلاد المسلمين، وبخاصة جزيرة العرب، والكفار الموجودون في بلادهم، يظنون أن معهم عقد أمان من ولي الأمر المسلم، ولا يعلمون شيئاً من هذه الأحكام الشرعية، فهذه الحجة داحضة، والشيخ بن لادن، والشيخ الزرقاوي، والشيخ عبدالعزيز المقرن، صدعوا بهذه الأحكام على الملأ وحذروا الأميركان الموجودين في جزيرة العرب، أو في بلادهم، بأنهم أهداف مشروعة، وإن كانوا يريدون السلامة فعليهم مغادرة بلاد المسلمين، والكف عن التدخل في شؤون المسلمين، وعلى المواطنين الأميركيين الضغط على حكوماتهم، لتتوقف عن محاربة الإسلام والمسلمين».

(ولنتأمل مدى ضحالة الفكر ومحدوديته خاصة ومراجعه الرئيسية هو بن لادن والزرقاوي والمقرن، وليس أحد من العلماء الثقاة!!).

وقال التنظيم مخاطباً عناصره في أميركا: «ابدأ بالتدبر في حالة أمة الإسلام، وكيف أن كل قوى الشر، بقيادة هُبل العصر، أميركا، وبمشاورة ومباركة من حكامنا المنتسبين للإسلام والإسلام منهم براء، اجتمعت على قلب رجل واحد، ولا تنخدع برواية محاربة الإرهاب أو مناصرة والدفاع عن الإسلام المعتدل، فاعلم أن حكام العرب والمسلمين العجم، عدا المناطق التي تسيطر عليها حركة طالبان في أفغانستان، أو المناطق تحت سيطرة الدولة الإسلامية، أو ما هو تحت سيطرة حركة الشباب بالصومال، كلهم في حالة كفر أكبر وأعظم من الكافر الأصيل».

> **من بين أبرز الأهداف الأميركية السرية من بناء التحالف الدولي لضرب «داعش» هو التدخل في سورية**

(يعني ركز البيان على أفقر ثلاث مناطق في العالم الإسلامي والأكثر بؤساً وفوضى واعتبرها هي أرض الإسلام الطاهرة... أي خلل في الفكر هذا؟ وأي اضطراب عقلي أصاب هؤلاء ليصلوا إلى هذه الحالة من السطحية؛ وهل الإسلام وحكمه العظيم قرين لديهم بالفقر والفوضى؟!).

***

● أضاف بيان داعش الأخير ناصحاً الانتحاري من أنصاره: «استحضر من ذاكرتك الخلفية صوراً لأطفال ونساء وشيوخ من أهل الإسلام قُتلوا وحُرقوا وقُطِّعوا إرباً على أيدي الصليبيين بأسلحتهم الفتاكة، وعليك أن تفعل نفس الشيء، واستحضر صوراً لبيوت هُدمت فوق ساكنيها، ثم قم باختيار هدفك بعد عمل مسح لمنطقتك ورصد عدة أهداف على فترة من الزمن، ثم حدد طريق الذهاب وطريق العودة، واحرص على السير أو السفر بالسيارة في هذه الطرق مرات عدة، خصوصاً إذا كانت غريبة عليك، حتى تتأقلم عليها، ثم احرص على التعرف إلى طرق فرعية أو طرق أخرى حتى لا تفاجأ بأن طريق العودة إلى قاعدتك أغلق لأي سبب، وقبل مغادرة مكان انطلاقك، قم بالصلاة ركعتين، وعندما تقترب من الهدف أو نقطة ترصد الهدف، قم بالدعاء وألحّ فيه واسأل الله أن ينزل السكينة على قلبك وأن يُخضع عدوك لك ويجعل على بصره غشاوة، ويجعله ينظر إليك كالذي يُغشى عليه من الموت، فتقوم أنت بقتله، واحرص على أن تسجد لله شكراً بعد انتهاء عمليتك في التو والحين، وأن تترك رسالة تكون معدة مسبقاً، إن أمكن، ولكن سلامتك ومغادرتك مكان الغزوة (!!) أهم من ترك الرسالة، وإن تمكنت من ترك رسالة فنقترح العبارة الآتية: فلتعلموا يا عبّاد الصليب أن التراب الذي تطأه نعال أي مسلم على وجه الأرض أغلى وأقيم وأطهر من دماء كل من كفر في أميركا وغيرها».

(وطبعاً هنا تجارة رخيصة باسم الإسلام وخلط للأوراق بين القضايا والمواقف وبين أتباع الديانة المسيحية وبين العدوانية الأميركية التى لا علاقة لها بالدين!!).

واختتم التنظيم خطته وتوصياته بتوجيه رسالة إلى الرئيس الأميركي باراك أوباما، قال فيها: «ربما قرأت تاريخ الأمة الإسلامية ومعاركها مع الصليبيين الأنجاس مثلك، وسمعناك تقول إنه ليس هناك متسع لدولة الخلافة في القرن الواحد والعشرين، ما شاء الله!.. كيف قررت أنت هذا؟، وتابع: «اعلم يا أوباما أن دولة الخلافة باقية بحول الله وقوته في القرن الواحد والعشرين، وما بعده، إلا أن يشاء ربنا شيئاً».

***

هكذا بدأت داعش بيانها الأول وهكذا أنهت بيانها الأخير... وهكذا تطور فكرها البائس واختلطت فيه القضايا، وانطلاقاً من المفاهيم والقيم الشاذة التي انطلق منها هذان البيانين، وحول هذا التنظيم المثير للجدل، والمعركة الدائرة حوله، دعونا نسجل الملاحظات الرئيسية التالية:

أولاً: أثبتت الوثائق (ومنها اجتماعات وصور موثقة لقادة ومسؤولين أميركيين (أمثال السيناتور المتعصب جون ماكين) مع قيادات داعش أمثال أبو بكر البغدادي عند بدء إنشاء التنظيم في سورية) وهي صور لاجتماعات موثقة إعلامياً وسياسياً (والتي ننشر بعضها في الجزء الوثائقي من كتابنا عن داعش).

● إن الحقائق والوثائق تؤكد أن هذا التنظيم صناعة أميركية (غربية) بامتياز، ولعبت الأموال والفتاوى الإقليمية والاستخبارات التركية دوراً رئيسياً في تخليقه في كل من العراق (إبان عصر أبو مصعب الزرقاوي 2004) وسورية (إبان المؤامرة الدولية والإقليمية عليها باسم الثورة)، لقد كان في سورية قرابة الـ1800 تنظيم مسلح بعد عام 2011 (وفقاً لشهادة الأخضر الإبراهيمي) استطاع ثلاثة منهم أن يتفوقوا في الإرهاب وأن يبتلعوا الآخرين بداخلهم وهم (النصرة – أحرار الشام – داعش) أما ما يسمى بالجيش الحر، فهو أساساً ليس جيشاً، وليس حراً، وكان من البداية مرتهناً بإرادات إقليمية ودولية سرعان ما أذابته وأنهت – على الأرض – دوره، وكان مصيره مثل مصير أي جماعة مرتزقة، تنتهي بانتهاء دورها من قبل من يدفع لها ويمولها.

إلا أن داعش وأخواتها من التنظيمات المسلحة التي صنعها الغرب والإقليم المعادي بدأت تخرج عن الوظيفة التي صنعت من أجلها وبدأت تتمدد، دوراً ووظيفة وبدأت تهدد بجهل العميل المصنوع وبوهم القوة المفترضة أمرين رئيسيين يمثلان خطاً أميركياً أحمر. الأول: منابع النفط العراقي – الثاني: منطقة أكراد البرزاني الحليف الاستراتيجي التاريخي منذ (والده) لـ«إسرائيل» وأميركا، وتهدد محطات التجسس الأميركي و«الإسرائيلي» على الحدود بين كردستان وكل من إيران وروسيا. ويضاف إلى هذين الأمرين، اقتراب داعش من خلاياها النائمة في الصحراء من منابع النفط الخليجي؛ عندما وصل الحال إلى هذا المستوى، بدأ الأميركيون في التحرك ومن خلفهم الحلفاء والأصدقاء!!.

***

ثانياً: لا يمكن عزل المشهد السوري عن الصعود المفاجئ لداعش في العراق، إذ يذهب البعض من المحللين الاستراتيجيين المقدرين، إلى أن الفشل الغربي والإقليمي في إسقاط النظام السوري وتفكيك الجيش والدولة عبر وسائله المسلحة من (المجموعات) ومن معارضة الفنادق مدفوعة الأجر؛ بدأ يخطط للتدخل العملي لمواجهة وإسقاط النظام السوري عبر حجة مواجهة داعش في العراق ثم الامتداد إلى تواجدها في (الرقة) بسورية وبدأت الدعاية الأميركية تسرب معلومات من عينة أن تعداد داعش في العراق لا يتجاوز 17 ألفاً، أما في سورية فهو يقترب من الـ25 ألفاً وأن بها قواعدها المسلحة الرئيسية، لذلك وجب ضربها من دون إشراك النظام في التحالف ومن دون حتى استئذانه، الأمر الذي دفع القيادة السورية للحديث عن قرار سيادي بالرد على أي عدوان على أراضيها بالقوة.

ترى هل يكون هذا هو الهدف الخفي لكل هذه الضجة التي أثيرت حول (داعش)؟ وهل ستتورط جيوش عربية على الأرض لمواجهة الجيش السوري؟ خصوصاً أن داعش – وفقاً للخبراء الاستراتيجيين – لن يقضي عليها بضربات جوية مجردة – كما هو الحال الآن – ولا بد من مواجهات برية واسعة؟ أسئلة مهمة لم يجب عليها حتى لحظة كتابة هذه السطور.

***

ثالثاً: أياً كانت الإجابة على التساؤلات المتعلقة بتنظيم (داعش) فإننا بلا شك أمام ظاهرة تحتاج إلى دراسة معمقة (وهو ما حاولنا أن نقدمه في كتابنا عن داعش: القصة الكاملة لتنظيم صنعته واشنطن لاغتيال الإسلام وتفكيك الأوطان)، فهذه الظاهرة ليست فحسب مخالفة لروح العصر، ولسماحة وعدالة الإسلام ولكنها أيضاً تمثل لدينا («إسرائيل» العربية) مثلما «إسرائيل» تمثل (داعش العبرية)، إنها لا تخدم استراتيجياً سوى أعداء هذه المنطقة، مهما ادعت بياناتها زوراً الدفاع عن الإسلام، الذي تغتاله بأفعالها وفهمها المتخلف لمراميه ومقاصده وشريعته النبيلة.

● إن تنظيمات كهذه، لا تجد في الاحتلال الصهيوني لفلسطين مبرراً للحرب المقدسة ضده ولم تضبط مرة واحدة فقط توجه رصاصها للعدو الصهيوني طيلة تاريخها الدموي الطويل، ومعها الدول وشيوخ الفتاوى الذين أرضعوهم بالمال والجهاد المزيف، ولكنها توجه حربها للمسلمين ولمواطني بلادهم من الأقليات الأخرى، وهو نفس حال التنظيم الإرهابي في مصر المسمى بـ(أنصار بيت المقدس)؛ ومثل عشرات التنظيمات في البلاد العربية، وهذا هو تحديداً ما كان يهدف إليه صناع هذا التنظيم ومموله من التحالف الدولي الحالي (وهنا نضع عدة علامات استفهام على رأسها كيف لمن صنع الإرهاب ووظفه أن يقضي عليه!!). إن داعش وأخواتها من التنظيمات الإرهابية الملتحفة خطأ برداء الإسلام، قد تكون لنشأتها أسباب سياسية واجتماعية وإقليمية، ولكن العامل الخارجي في تخليقها وتوظيفها كان هو الأبرز. إنها باختصار (جماعة وظيفية) تماماً مثل «إسرائيل» في إطار المشروع التقسيمي الغربي للمنطقة، وأي ربط بينها وبين الإسلام أو الثورات أو الربيع العربي الخادع – هذا– هو من قبيل التزييف البائس للحقائق.

● إن (داعش) كظاهرة، لن تنتهي، صحيح قد تتقلص ويتراجع دورها والضجيج الإعلامي من حولها بعد أن يكون التحالف الدولي قد حقق أهدافه (في سورية) وفي (النفط العربي)، وفي عزل محور المقاومة الممتد عن بعضه البعض، قد تتراجع ولكنها كظاهرة لن تنتهي وستنتج معامل الغرب (دواعش أخر) مستغلة بيئتنا العربية والإسلامية الخصبة بعوامل الفساد والاستبداد والفقر والجهل بالدين وبالتواطؤ المبتذل مع عدو الأمة الاستراتيجي: الكيان الصهيوني.

من هنا وجب التأمل والمقاربة المعمقة لداعش وأخواتها ممن أُبتلي (الإسلام) بهم فحاولوا اغتياله مجدداً بعد اغتيال (وحدة الأوطان)، خدمة لأعداء أراهم يفركون أيديهم سعادة بحالنا وزماننا الداعشي البائس، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

Email:yafafr@hotmail.com

ما بعد «زلزال» اليمن... خريطة لعالم متعدّد الأقطاب أم حرب باردة جديدة؟

نسرين الديماسي

تحالف أُسمي دولياً شكلته الولايات المتحدة الأميركية لمحاربة الإرهاب، أعقبه مؤتمر باريسي تحت عنوان «الأمن والسلام»، ثم التئام الجمعية العامة للأمم المتحدة، وحراك دولي يتسارع، كما الأحداث... والغموض يكتنف المشهد العام، مع تلمّس إشارات تشي بإمكانية حدوث تبدّلات في القرارات والمواقف.

واشنطن برغم مواقفها المتعنّتة حيال طهران، فهي تُصدر بين الحين والآخر إشارات غير متعنّتة، على خلفية المحادثات بشأن الملف النووي، وأرسلت إشعاراً إلى سورية بموعد تنفيذ ضربات «التحالف» ضدّ «داعش» على الأراضي السورية، وذلك تحت مرمى أنظار روسيا الاتحادية التي تراقب جيداً مسار عمليات التحالف لإبقائه في دائرة عدم الانفلات والانفلاش.

في موازاة ذلك، تبدو كلّ من موسكو وطهران ممسكتان جيداً بخيوط اللعبة، فما هي تلك الخيوط التي دفعت الأميركي والسعودي إلى التراجع عن مواقف اتخذاها بصلف وغرور؟

لا شك أنّ تبدّل المشهد اليمني بعد إحكام «انصار الله» سيطرتهم على العاصمة صنعاء، كان السبب الرئيس في دفع واشنطن والرياض الى تليين مواقفهما، فما حصل في اليمن، أكد أنّ إيران تملك من عناصر القوة والنفوذ ما يمكنها من تهديد المصالح الأميركية تهديداً مباشراً ومؤلماً، ويجعل المملكة السعودية تحت مرمى الحصار، خصوصاً إذا ما استكمل «انصار الله» اندفاعتهم إلى «باب المندب».

لم تكن واشنطن وحلفاؤها يتوقعون حصول انهيار سريع لنفوذهم في اليمن، فما حصل فاجأ السعودية، فخلال أيام قليلة، تهاوت التركيبة السلطوية التي صاغتها الرياض وواشنطن من خلال ما عرف بالمبادرة الخليجية في شباط 2011، وما زاد الحنق الأميركي والسعودي، أنّ «أنصار الله» لم يجهزوا على السلطة، بل أبقوا عليها، وهذا ما دفع بالرياض وواشنطن إلى الاعتراف بالواقع والتسليم بنتائجه وضرورة السير في طريق الحلّ السياسي. خصوصاً بعدما أعلن «أنصار الله» بلسان أحد القياديين البارزين بأنه لا مبرّر للخوف السعودي وأنّ ما حصل جاء في سياق حراك لتحقيق مطالب اليمنيين، وأنّ الواقع الجديد لا يشكل خطراً على الأشقاء والجيران.

لكن، اذا أمعنّا النظر في المشهد اليمني المستجدّ، لا يمكن قراءته من زاوية حراك شعبي يستهدف مطالب شعبية وحسب، بل يجب قراءته من زاوية الأهداف الاستراتيجية المتصلة بالمحاور الدولية والاقليمية، إذ لم يسبق أنّ فريقاً أو جماعة أو حراكاً شعبياً حقق انتصارات وتعفّف عن السلطة؟

الحدث اليمني ليس معزولاً عن سياق المعادلات الدولية والإقليمية التي ترسم، ونتائج هذا الحدث تعيد خلط الأوراق السياسية والأمنية، ولا شك أنّ السعودية جزعة، رغم أنّ ولي العهد السعودي حاول التخفيف من وطأة الجزع بإعلانه في مناسبة اليوم الوطني الـ84 للمملكة، انّ المملكة تنعم باستقرار وسط منطقة تعجّ بالفوضى.

والسؤال كيف يمكن أن يُقرأ المستجدّ اليمني في ضوء تعفّف «أنصار الله» عن السلطة وانحيازهم إلى الحوار وإنتاج سلطة توافقية، وكيف ستتعامل السعودية مع هذا الواقع بعدما خسرت نفوذها؟

إنّ حرص «أنصار الله» على الحوار مع السلطة القائمة وإنجاز اتفاق الشراكة معها، له مدلولات تتخطّى الساحة اليمنية، ومن هذه المدلولات أنّ إيران لها تأثير حاسم، وأنه بإرادة إيرانية أتيح للسعودية وكذلك لواشنطن أن يكونا جزءاً من حلقة الحوار واتفاق الشراكة، وربما يمتدّ هذا الحوار إلى الكثير من العناوين الدولية والإقليمية.

وهنا تبدو السعودية أمام امتحان صعب، فهي إما أن تكون ضمن معادلة الشراكة، وهذا ما يبدو راهناً، وإما أن تكون خارج حلقة الحوار والشراكة، وهذا يرتب عليها أعباء كبيرة وكبيرة جداً، فموقع اليمن له تأثير بالغ على المصالح السعودية والآمن السعودي في آن. عدا أنّ المملكة السعودية تواجه تحديات داخلية قد تشهد تطوراً متسارعاً إذا لم تسارع السعودية إلى احتواء هذه التحديات بسياسة وتوجهات مرنة، حتى لا تُفاجأ بنتائج غير محسوبة بالنسبة لها.

هنا تجدر الإشارة إلى أنّ ما حصل في اليمن قد لا يخرج عن كونه رداً مباغتاً على الهجوم الإرهابي الذي تمثل باجتياح «داعش» لمناطق عراقية واسعة، وهو الاجتياح الذي يحمل بصمات أميركية ـ سعودية. لكن ما حصل في اليمن يفوق بتأثيراته ما حصل في العراق. إذ أنّ اليمن يحاذي بحدوده مناطق سعودية قد تنتفض في لحظة ما، في وجه المملكة السعودية، كما أنّ أيران أثبتت أنّ لها حضوراً يستطيع التحرك في اللحظات الحاسمة، وهو حضور قادر على تغيير قواعد اللعبة كما حصل في غزة وسورية ولبنان. وهذا ما سيحقق مكاسب لإيران إنْ من خلال إعادة إحياء اللقاءات الإيرانية – السعودية، أو لجهة حدوث اختراقات على اتجاهات أخرى، منها الملف النووي وموقف واشنطن حيال ايران.

ما أحدثه «زلزال اليمن» بدأ يظهر بوتيرة سريعة، فهناك اتصالات أميركية – إيرانية، وسعودية – إيرانية، ويبدو أنّ وزير خارجية السعودية سعود الفيصل أخذ بالنصح الأميركي بضرورة التقرّب من إيران لأنها الجهة الوحيدة والقادرة على إدارة تفاوض سريع للتوصل الى تفاهمات تحدّ من الخسائر الجسيمة بعد سقوط اليمن في حضن حلف المقاومة، وما سيرتّبه هذا الأمر من تداعيات على الداخل السعودي وعلى الوضع داخل دولة البحرين.

ويرى متابعون أنّ واشنطن فشلت في ابتزاز طهران بالملف النووي والعقوبات المفروضة عليها، وأنّ طهران أثبتت بأنها لاعب إقليمي دولي بامتياز تمسك بخيوط اللعبة بإحكام وغير مستعدة لتقديم ايّ تنازلات، فالخطر بعيد عنها وأقرب الى جيرانها ولا يؤثر على حلفائها في الدول العربية، خصوصاً في لبنان وفلسطين وسورية والعراق واليمن.

كلّ ما تقدّم دفع بالأميركي عبر وزير خارجيته جون كيري الى التراجع عن النظرية القائلة بأنه لا حاجة للتحدث مع إيران في الحرب على «داعش» والتحدث عن ضرورة مشاركة إيران. وقد حدّد إيران بالاسم حين قال: «هناك دور لكلّ دولة في العالم تقريباً بما في ذلك إيران». وهناك حديث عن أنّ واشنطن وحلفاءها الأوروبيين يمكن أن يتوصّلوا الى اتفاق حول الملف النووي الإيراني ورفع العقوبات الدولية المفروضة عليها، وذلك بموازاة العمل على إخراج يفضي إلى حلحلة موضوع استبعاد ايران وروسيا وضمناً سورية من لقاء جدة، وهو الاستبعاد الذي أفقد اللقاء كماله الدولي والإقليمي، وجعله لقاءً يخدم الإرهاب أكثر مما يحارب «داعش».

اما في ما يتعلق بروسيا، فموقفها كان حاسماً، فقد أعلنت وزارة الخارجية الروسية بأنّ روسيا لا تنتظر من أحد دعوة للمشاركة في التحالف الدولي ضدّ تنظم «داعش» الإرهابي، وروسيا تدعم بأشكال مختلفة الدول التي تحارب هذا التنظيم. كما أنّ الموقف الروسي لا يزال حاسماً برفض توجيه ضربات لأهداف على الأراضي السورية من دون موافقة الحكومة السورية. وقد لقي موقف روسيا مؤازرة من الصين التي أعلنت للمرة الأولى منذ قيام التحالف الأميركي، رفضها الإرهاب بكلّ أشكاله، وأشارت إلى ضرورة ان يكون موقف المجتمع الدولي واضحاً ودقيقاً من ناحية احترام سيادة الدول في اي تحرك ضدّ الإرهاب في إشارة ضمنية الى رفضها الاعتداء على سيادة الدولة السورية والقيام بأيّ تحرك من دون موافقتها، وهذا مواز للموقف الروسي، ما يدلّ الى دعم الصين لأيّ قرار روسي – إيراني.

وحيال قوة وصلابة الموقف الروسي وكذلك الصيني والإيراني، فإنّ القادم من الأيام لا بدّ أن يحمل جديداً. فروسيا ليست عاجزة عن القيام بحراك في الداخل الأوكراني يقوّض كلياً النفوذ الأميركي، وهناك حديث روسي ألماني عن تسوية خاصة بأوكرانيا. ويدرك الأميركي هذا الأمر جيداً، وهو لا يريد ان يخرج من المولد بلا حمص، ويتوجّس أن يصل الى مرحلة يجد نفسه خارج المعادلة الأوكرانية، كما حصل مع السعودية التي استفاقت وهي خارج المعادلة اليمنية.

والسؤال هل هناك حراك بين الاقطاب والمحاور يجري بعيداً من الأضواء سيرسم خريطة لعالم جديد متعدّد القطبية، أم يستعيد العالم مناخ حرب باردة تتسم بالسخونة والاحتدام؟